التعقيب بأسماء الله الحسنى في الفاصلة القرآنية
(باب النصرة الإلهية أنموذجاً)

د . بيان شاكر جمعة
د. محمد جاسم عبد الساطوري

ملخص البحث

تحدث البحث عن أسماء الله الحسنى الدالة على النصرة الإلهية و ربط الأسماء الحسنى في الفاصلة وتعلقها دلاليا مع الآية التي تسبقها. ونهج الباحث الى الدراسة التحليلية وذلك لبيان علاقة الاسم مع القرينة من جهة، ومن جهة أخرى إبراز علاقة هذه الأسماء مع ما سابقها من الآية أو الآيات ، ليظهر مدى التناسق الرائع والجمالية والدقة في التعبير التي اتصف بها كتاب الله العظيم . وختم البحث بنتائج منها: أن باب النصرة الإلهية يقتصر على اسمين مهمين من الأسماء الحسنى أو الصفات الإلهية وهما اسما الولي والنصير وأن هناك اسما آخر ولكنه ورد في متن الآيات القرآنية لا في الفاصلة القرآنية وهو الشفيع. وان هذه الأسماء وردت في سبعة وعشرين موضعا من القرآن الكريم في فواصل قرآنية، و إن معنى النصرة يتمثل في المعونة والمنع والانتقام والتجمع وأن معاني الولاية تتمثل في الخطة والسلطان والوراثة والاستحقاق...

Commenting By the Names of Allah
In the Qur'anic Intervals
(The Door of Divine Victory as A Sample)

Prof. Bayan Shaker Juma
Prof. Mohammed Jassim Abdul Sattouri

Abstract

This study deals with the names of Allah that indicate the divine victory, and the semantic connection of those names with the intervals and the verse(s) that precedes them. The researchers use an analytical method to show the relationship of the name with its consort on the one hand, and to highlight the relationship of these names with the previous verse(s), on the other. This will show the extent of the beautiful harmony and accuracy in the expression which is a character of Allah's Book. The research is rounded up with the following results: The door of the divine victory is limited to two important names: the "Wali" Protector and the" Nasir" Supporter and that there is another name which is mentioned in the Qur'an verses, but not in the Qur'anic passage is the "Shafi'" intercessor. All the three names are mentioned in twenty-seven places in the Qur'an with Qur'anic intervals , and the meaning of the victory is presented as aids , prevention, revenge and assembly and that the meaning of "walaya" mandate is presented as planning , authorizing , inheritance and merit .

التعقيب بأسماء اللّه الحسنى

في الفاصلة القرآنية

(باب النصرة الإلهية أنموذجاً)

أ . د . بيان شاكر جمعة

أ.د. محمد جاسم عبد الساطوري

كلية التربية الإنسانية – جامعة الأنبار

المقدمة

الحمد لله المنعم برحمته ومغفرته، المتفرد بكبريائه وعظمته، المتوحّد بعزته وحكمته، الذي قصر ألسنة الفصحاء عن الثناء على جمال حضرته، إلاّ بما أثنى به على نفسه، والصلاة والسلام على محمد خير بريّته، وعلى آله وصحبه ومَن اهتدى بهديه .

أمّا بعدُ؛ فمن الثابت في العقول والأخبار أنّ العِلْم بأسماء الله تعالى وصفاته من أشرف العلوم، وأزكى المقاصد وأعظم الغايات السَّنيَّة؛ لتعلّقه بأشرف معلوم وهو الله جلَّ جلاله»[1]» ولهذا ينطلق مبتغانا من هذه الواحة المثمرة ليبحث في تلك الأسماء العلية مخصوصا بالفاصلة القرآنية .

إنّ كلّ لفظة في القرآن الكريم لم ترد من دون ضابط يجعلها مناسبة لما سبقها، ولو أمعنا النظر في الألفاظ لوجدناها كثيرة جدا لا يمكن لمثل هذه العجالة أن تحيط بدقائقها؛ لذا اقتضى الحال أن يقتصر بحثنا على التعقيب باسمه تعالى النصير ومتعلقاته في القرآن الكريم وهي صورة من صور العِلْم بمقصود الله تعالى وإبراز حكمته وتناسق الآيات، وسنقيّد موضوعنا بباب النصرة الإلهية فقط تاركين أبواب الأسماء الحسنى الأخرى لدراسات أخرى؛ خشية الإطالة، وبتناولها على هذه الشاكلة يتاح لنا أن نبحث في حقل دلالي مترابط يمكن تسميته بباب النصرة الإلهية ، إذ نقف عنده على ترابط الأسماء الحسنى في الفاصلة وتعالقها دلاليا مع الآية التي تسبقها .

وآلينا في دراستنا للأسماء المذكورة أن ندرسها تحليليا بتبيان علاقة الاسم مع قرينه من جهة، ومن جهة أخرى إبراز علاقة هذه الأسماء مع ما سابقها من الآية أو

(١) ينظر : فقه الأسماء الحسنى : ١٦ .

الآيات ، ليظهر لنا مدى التناسق الرائع والجمالية والدقة في التعبير التي اتصف بها كتاب الله العظيم .

فإن وُفِّقْنا في عملنا هذا فمن الله ، وإن كانت الأخرى فحسبنا أن بلغنا الجهد في البحث لينتفع به المسلمون ومن الله التوفيق .

التمهيد

يمكن القول : إنّ أول من أشار إلى التناسب الإمام الشافعي رحمه الله بقوله عن العرب: ((وتبتدئ الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله))[1] ، وهو يستعرض هذا الأمر المعروف عن العرب لكي يجعل منه توطئة للولوج إلى النظر في القرآن الكريم مادام قد نزل بلسان عربي مبين ، وعلى الرغم من أن مجال عمله لا يطال التفسير بل يقتصر على الأحكام الفقهية ، إلا أنه أراد من الحديث في علاقة أجزاء الكلام ببعضها أن يتناول علاقات الأحكام القرآنية وأن يجعل من النص القرآني مما يفسر بعضه بعضا مادام من لدن واحد أحد عالم لطيف .

وتلاه الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- فقال في قوله تعالى : ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))[2] إذ قال: ((رَبْط لآخر الآية بأولها ؛ لأنّ أولها : ألم تر أن الله يعلم ما في السموات والأرض))[3] ، وقال في موضع آخر عن الآية نفسها: ((يفتح الخبر بعلمه ويختمه بعلمه))[4] ممّا يقودنا نحو القول : إنّ فكرة التناسب لم تكن غائبة عن تفكير أوائل الفقهاء المسلمين في القرآن الكريم .

---

(١) الرسالة للإمام الشافعي : تحقيق أحمد شاكر : ص ٥٢ .
(٢) المجادلة : ٧ .
(٣) الرد على الجهمية والزنادقة : ص ٥ .
(٤) المصدر السابق : ص ١٣٨ .

وتواصلت بعد ذلك الدراسات المختلفة تتناول جوانب معينة من الفاصلة فأدلى كل من العلماء بدلوه في مجال من المجالات اللغوية والقرآنية والبلاغية والأصولية وغيرها ، حتى وصل الأمر إلى الخلاف الظاهر بين هذه المجالات ، فمن منكر لعلم المناسبة ومن مثبت ومن متناول للفاصلة القرآنية على أساس الفصاحة وعلى أساس المعنى"[1]» .

وممّا يعنينا في هذا المجال أن الزركشي نقل لنا خلافا في كتابه البرهان حول ترتيب الأسماء بصورة عامّة في الفاصلة القرآنية، فبعضهم يرى أن تقديم اسم هارون عليه السلام على موسى عليه السلام في قوله تعالى: ((فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى))»[2]" كان مراعاة للفاصلة الصوتية التي تنتهي بالألف المقصورة في سورة طه، ولكن الرماني يرد على ذلك الرأي بقوله : ((بل الفائدة فيه إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحدا وذلك الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتقوى البلاغة ولهذا أعيدت كثير من القصص في مواضع كثيرة مختلفة على ترتيبات متفاوتة تنبيها بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومكررا))[3] ، وعلى الرغم من صحة التبرير والرد أو صحة الادّعاء بالدعوى الصوتية في الترتيب؛ فإنّ هذا الخلاف يعكس تفكيرا جديا في الفاصلة من جميع جهاتها .

ويقرّر الزركشي فوائد الفاصلة القرآنية بقوله: ((تقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها ... وتسمى فواصل؛ لأنّه ينفصل عندها الكلامان وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها))»[4]" ولهذا ما جاءت الفاصلة التي تحتوي أسماء

(١) ينظر : آراء الجرجاني في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة وابن الأثير في كتابه المثل السائر.
(٢) طه : ٧٠ .
(٣) البرهان في علوم القرآن الزركشي ١ / ٥٤ .
(٤) البرهان في علوم القرآن الزركشي ١ / ٥٤ .

الله تعالى الحسنى لتكون خاتمة للآية وموضحة لمغزاها وممهدة للانتقال نحو الآية التالية .

إن هذه المقدمات التي سقناها تقودنا نحو البحث والتمحيص في باب النصرة الإلهية بوصفه أنموذجا للتعقيب بالأسماء الحسنى في فواصل الآيات القرآنية والذي وجدنا أنه باب يسهل الولوج منه إلى أسرار التعقيب بالأسماء الحسنى عموما ، وهذا ما يتطلب أن ينقسم البحث على مبحثين ، يتناول الأول منهما علاقة أسماء الله الحسنى المتعلقة باسمه تعالى (النصير) ، ويتناول الثاني دراسة تحليلية لعلاقة الآية بأسماء هذا الباب .

المبحث الأول : علاقة اسمه تعالى (النصير) بالأسماء الأخرى

سوف نقوم في هذا المبحث بإحصاء اسمه تعالى (النصير) والأسماء الحسنى الأخرى التي ارتبطت به ، وسيكون إحصاؤنا هذا توطئة للدراسة التحليلية التي تتلوها، وقد اقتصر بحثنا على اسمه تعالى (النصير) ومتعلقاته من الأسماء الحسنى الأخرى ؛ لأنها أسماء وردت معًا في أغلب المواضع، وقبل أن نبتدئ بدراستنا لِمَا يمكن تسميته بالحقل الدلالي لهذا الباب لا بد من التعريج على كل اسم منها على انفراده ثم الانتقال نحو اجتماعها معا في الفاصلة وعلاقتها بغيرها من الأسماء الحسنى على النحو الآتي :

١- **اسمه تعالى النصير .**

لم يرد اسمه تعالى النصير معرفا بأل منفردا بل ورد مع اسمه تعالى الولي ، كما أنه لم يرد منفردا بصيغة النكرة إلا في موضعين جاءت بنفي النصرة (ما للظالمين من نصير) ولم تأت بإثباتها»[1]» وأما بحالة النصب فقد ورد منفردا في موضعين»[2]» وورد في موضع واحد

(١) الحج : ٧١ ، وفاطر : ٣٧ .
(٢) النساء : ٥٢ و ١٤٥ ، والإسراء : ٧٥ .

بطلب النصير (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا)"[1]" ولا يعد اسما من أسمائه الحسنى هنا وذلك أن النصير أصبح صفة للسلطان أو القوة لا لله تعالى .

٢- اسمه تعالى الولي .

وكما توقفنا مع اسمه تعالى النصير منفردا يتحتم علينا أن نقف أيضا مع اسمه تعالى الولي منفردا فقد ورد هذا الاسم منفردا بصيغة النكرة في ثلاثة مواضع»[2]» في الفاصلة ، ولم يرد نكرة منصوبا في الفاصلة في أي موضع منفردا، ولكنه ورد نكرة مجرورا في موضع واحد"[3]» ولم يرد منفردا معرفا بأل .

٣- ورود اسميه تعالى الولي والنصير معا .

وأما بخصوص مجيء اسمه تعالى (الولي) مع اسمه تعالى (النصير) ، فقد وردا معرفة في موضعين"[4]» ، ووردا بصيغة النكرة في سبعة مواضع"[5]» ، ووردا بالتنكير والنصب في سبعة مواضع"[6]» ووردا في موضع واحد فيه أمر بعدم جواز اتخاذ ولي ولا نصير من الكافرين»[7]" ووردا في موضع واحد بتنكير المولى وتعريف النصير بصيغة الناصر"[8]" .

٤- تعلقات اسمه تعالى الولي .

ورد اسمه تعالى الولي مع طائفة أخرى من الاسماء الحسنى ومنها وروده مع اسمه

---

(١) الإسراء : ٨٠ .
(٢) آل عمران : ٦٨ ، والشورى : ٤٤ . والجاثية : ١٩ .
(٣) ١٣ : ١١ .
(٤) الأنفال : ٤٠ ، والحج : ٧٨ .٢
(٥) البقرة : ١٠٧ و١٢٠ ، والتوبة : ٧٤ و١١٦ ، والعنكبوت : ٢٢ ، والشورى : ٨ و٣١ .
(٦) النساء : ٤٥ و٧٥ و١٢٣ و١٧٣ ، والأحزاب : ١٧ و٦٥ ، والفتح : ٢٢
(٧) النساء : ٨٩ .
(٨) آل عمران : ١٥٠ .

تعالى الشفيع في ثلاثة مواضع»[1]» ولكنها مواضع ليست في الفاصلة ولا تمثل تعقيبا للآيات التي وردت فيها ولهذا سنبعدها من بحثنا .

وتعلق اسمه تعالى الولي مع اسمه تعالى الواقي في موضع واحد"[2]» واسمه تعالى الواقي ورد منفردا نكرة في موضعين»[3]" ولذلك نرى أن ندمج هذا الاسم في باب الولاية والنصرة لأنه ارتبط بهما .

وأما الموضع الذي ورد فيه اسمه تعالى الولي مع الصفة المرشد في موضع واحد"[4]» فهو ليس من الأسماء ولا الصفات الحسنى له تعالى بل جاء صفة للمرشد والوالي من الناس ولهذا ينبغي استبعاده من قائمة الدراسة .

المبحث الثاني : الدراسة التحليلية لتلك العلاقات

١ - اسمه تعالى النصير .

قبل أن نبتدئ بتحليل ورود اسمه تعالى النصير في الفاصلة القرآنية لا بد لنا من الابتداء بالتعرف على معنى اللفظة معجميا فقد ورد أن النَّصْر: إعانة المظلوم ، وحسن المعونة ، وانتصر الرجل إذا امتنع من ظالمه ، وانتصر منه انتقم ، والاستنصار استمداد النَّصْر ، والتناصر التعاون على النصر، والنواصر مجاري الماء إلى الأودية ؛ لأنه ينصر سيل الوادي، ونَصَر البلادَ : أتاها ، ونَصَر الغيثُ الأرضَ نَصْرا : غاثها وسقاها وأنبتها، ونَصَرَهُ يَنْصُرُهُ نَصْرا: أعطاه ، والمُسْتَنْصِر: السائل"[5]» ويمكننا الاستنتاج من هذا

(١) الأنعام : ٥١ و٧٠ ، والسجدة : ٤ .
(٢) الرعد : ٣٧ .
(٣) الرعد : ٣٤ ، وغافر : ٢١ .
(٤) الكهف : ١٧ .
(٥) ينظر: لسان العرب ٨/ ٥٧٣-٥٧٤ (نصر) .

السرد أن النصر يتمحور حول معاني المعونة والمنع والانتقام والتجمع وهي تتم بسبب الحاجة فمن يتم نصره هو المحتاج للنصر والسائل له، ومن الجدير بالذكر أن اسمه تعالى النصير أو صفته لم ترد ضمن الأسماء الحسنى التي ذكرها من أحصى أسماءه تعالى التسعة والتسعين ويبقى هذا الاسم مع ذلك صفة لله تعالى ورد ذكره كثيرا في القرآن الكريم.

ولا بد لنا من الابتداء باسمه تعالى النصير وذلك أن جميع المواضع التي ورد فيها الاسمان الولي والنصير كانت بتقديم الولي على النصير وبهذا يكون التعقيب باسمه تعالى النصير مما يقودنا نحو الاستنتاج أن هذا الاسم يليق أن يكون عنوانا للباب كله ، وقد ورد اسمه تعالى النصير منفردا نكرة في خمسة مواضع وفي جميع هذه المواضع كان الاسم يرد بنفي النصير لا بإثباته ومنها قوله تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ)"[1]» فالكلام هنا بخصوص الكافرين الذين يعبدون ما لم ينزل به كتاب سماوي وقد جعل تعالى الكتاب سلطانا وقد تنفعنا هنا الآية التي سبق أن قلنا : إنها صفة للسلطان: (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا)"[2]» فقد جعل تعالى الكتاب سلطانا وجعله نصيرا أيضا، والسلطان في اللغة القهر والحكم والحجة والسَّلِيطُ: الطويلُ اللسانِ، وَرَجُلٌ سَلِيطٌ أَي فَصِيحٌ حَدِيدُ اللِّسَانِ بَيِّنُ السَّلاطةِ، يُقَالُ: هُوَ أَسْلَطُهم لِساناً، وامرأَة سَلِيطة أَي صَخّابة وفي التَّهْذِيب: إِذا قَالُوا امرأَة سَلِيطةُ اللسانِ فَلَهُ مَعْنَيَانِ: أَحدهما أَنها حَدِيدَةُ اللِّسَانِ، وَالثَّانِي أَنها طَوِيلَةُ اللِّسَانِ وسُلْطانُ كُلِّ شَيْءٍ: شِدَّتُه وحِدَّتُه وسَطْوَتُه»[3]" ولهذا يصبح وصف القرآن والكتب السماوية والآيات بالسلاطة لأنها حجة تفحم الخصوم، ومن لم يعتبر بتلك الحجة الإلهية فهو من

(١) الحج : ٧١ .
(٢) الإسراء : ٨٠ .
(٣) ينظر: لسان العرب ٤/ ٦٤٥ (سلط).

الكافرين، ولكن؛ لم عطف تعالى (وما ليس لهم به علم) على من ليس لديه سلطان؟ والجواب أن من يعبد ما لم ينزِّل تعالى به كتابا فهو يعبد ما ليس له به علم لأنه يعبد ما يقع عليه هواه قال تعالى: (أرأيت من اتخذ إلهه هواه)"[1]" والهوى لا يتيح علما بل عشقا غريبا نحو معشوق بلا أسباب وبلا مبررات، ولما كان هذان الأمران مترافقين – عدم وجود السلطان وعبادة الهوى- فإنهما يقودان نحو الظلم فالإنسان يظلم نفسه ويظلم غيره عندما يتبع إلها على هواه، ولهذا عقب تعالى بأن الظالمين ليس لديهم نصير، وبالمقابل فإن من يعبد الله بسلطان كتبه السماوية بعلم منزل من العليم فإنه يتزحزح عن الظلم ويحوز النصرة؛ إن نفي النصير عن الظالمين يعني بالتأكيد إثباته لغير الظالمين لأنفسهم، وقد عبر تعالى عن نفي النصير بـ(مِن) زائدة للتوكيد أي أنها زيدت لكي تنفي وجود أي نصير للظالمين لا حقيقة ولا اعتقادا ولا حسيا ولا معقولا ولا مكتوبا ولا مسموعا ولا دنيا ولا آخرة ... الخ وقد عبر تعالى بالنكرة ليزيد من هذا الإطلاق فالنصير غير متوفر بأية صورة من الصور الممكنة والمتخيلة .

ومثلها قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ)»[2]" والفارق بين هذه الآية وتلك التي سبقتها في الفاء فقط والتي جاءت هنا سببية تفسيرية وقد أشار الآلوسي إلى أن هذه الجملة للتعليل"[3]» فنفي النصير بأي شكل كما مر معنا كان بسبب الآيات التي سمعها الكافرون ولكنهم

(١) الفرقان : ٤٣ .

(٢) فاطر : ٣٦ و ٣٧ .

(٣) ينظر : روح المعاني ، ١١ : ٣٧٣ .

أعرضوا عنها ولهذا جاء جزاؤهم بالإعراض الكامل عنهم يوم القيامة وغياب النصير تماما، ولهذا أشار الفخر الرازي إلى أنهم عدموا النصير فلا الله ناصرهم وليس غيره يمكن أن يكون ناصرا لهم»[1]" وقد يكون من المفيد الإشارة إلى أن الآية عرضت موقف التوقيف والتوبيخ كما قال ابن عطية في تفسيره "[2]" فهو تعالى يريد توقيفهم على ما فعلوه وما ضيعوه من عمرهم الذي كان يكفيهم للتوبة ولكنهم لم يتوبوا، ويريد تعالى أيضا توبيخهم على ما جنوه على أنفسهم وهو ما لا ينفع معه حينئذ صراخهم ولا استنجادهم ، ولو انتبهنا إلى سياق الآية لوجدنا أنها ابتدأت بالحديث بطريق الغيبة (وهم يصطرخون ...) ثم انتقلت إلى الخطاب (فذوقوا ...) واختتمت بالغيبة أيضا (فما للظالمين ...) وذلك لإفادة سبب انتفاء النصير عنهم أو أن يكون كلاما مستقلا على سبيل التفريع على القصة والاستنتاج لها"[3]» .

ويكاد يقترب من هاتين الآيتين قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا)"[4]» فقد ترتب لدينا الآن من يفقدون النصرة بشكل ما فلدينا أولا الذين يعبدون ما لم ينزل به سلطان وهم المشركون ثم أهل الكتاب الذين يدفعون الكافرين نحو الكفر بالكتب السماوية وهؤلاء عليهم لعنة شديدة وهي لعنة الله تعالى أي أن هذا الموقف أصعب من الموقف السابق فقد كان من المفترض في أصحاب الكتب السماوية أن يؤيدوا الكتاب السماوي الجديد (القرآن)

(١) ينظر : مفاتيح الغيب ٢٦ : ٢٤٣ .
(٢) تفسير ابن عطية ٤ : ٤٤١ .
(٣) الحج : ٣٢٠ .
(٤) النساء : ٥١ و ٥٢ .

ولكنهم على العكس راحوا يؤلبون الكفار ضده فهؤلاء عقابهم أشد من الكفار أنفسهم لأن الكفار يعبدون ما لم ينزل به كتاب وما ليس لهم به علم وأما أصحاب الكتب السماوية فلديهم الكتاب ويعلمون الحق ولكنهم مع ذلك يعملون ضدهما، ولهذا وجه تعالى اللعنة إليهم، ولهذا لم يعبر تعالى بالنفي بـ(ما) كما في الحالتين السابقتين اللتين تخصان الكافرين بل عبر بنفي الاستقبال (لن) قال الآلوسي: (وفي الإتيان بكلمة- لن- وتوجيه الخطاب إلى كل واحد يصلح له وتوحيد النصير منكرا والتعبير عن عدمه بعدم الوجدان المؤذن بسبق الطلب مسندا إلى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الأبدي عن الظفر بما أملوا بالكلية ما لا يخفى)»[1]" .

وأما النوع الثالث فهم المنافقون قال تعالى عنهم: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا)»[2]" وهي مثل الآية السابقة فهم لن يتوفروا على أي شكل من أشكال النصير دنيا ولا آخرة وذلك أنهم فضلا عن الكفر الذي سبق أن تناولنا موقعه من فقدان النصير وفضلا عن العمل ضد الكتب السماوية بالتحريض والإيهام فإنهم كاذبون يرتدون أقنعة مختلفة في الوقت نفسه فهم أمام المسلمين مسلمون ومع الكافرين محرضون مبغضون ولهذا جعلهم تعالى في الدرك الأسفل من النار وتنطبق عليهم اللعنة التي وجهت للذميين العاملين ضدا للإسلام وزادتهم خصيصة أنهم في الدرك الأسفل من النار؛ ولهذا عبر تعالى هنا أيضا بنفي النصير مستقبلا بأي شكل كان وعبر بالفعل المضارع الدال على الاستمرار الدائم .

والموضع الوحيد الذي يفترق عن هذه المواضع الشديدة ورد في الخطاب مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: (وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

(١) روح المعاني ٣ : ٥٥ .
(٢) النساء : ١٤٥ .

لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا)»[1]" وقد وهم بعض المفسرين في أن المراد من هذه الآيات أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم كاد أن يفتتن بدعوة المشركين له بالتنازل عن بعض الأمور المنهي عنها شرعا ولكن القشيري قطع هذا الشك بقوله: (ضربنا عليك سرادقات العصمة، وآويناك فى كنف الرعاية، وحفظناك عن خطر اتباعك هواك، فالزّلّة منك محال)"[2]» وقال في تفسير الفتنة : (لو وكلناك ونفسك، ورفعنا عنك ظلّ العصمة لألممت بشيء مما لا يجوز من مخالفة أمرنا، ولكننا أفردناك بالحفظ)»[3]" ويتفق معه القرطبي قائلا: (مَا كَانَ مِنْهُ هَمٌّ بِالرُّكُونِ إِلَيْهِمْ، بَلِ الْمَعْنَى: وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ لَكَانَ مِنْكَ مَيْلٌ إِلَى مُوَافَقَتِهِمْ، وَلَكِنْ تَمَّ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ فَلَمْ تَفْعَلْ ذَكَرَهُ الْقُشَيْرِيُّ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْصُومًا، وَلَكِنْ هَذَا تَعْرِيفٌ لِلْأُمَّةِ لِئَلَّا يَرْكَنَ أحد منهم إلى المشركين في شي من أحكام الله تعالى وشرائعه)»[4]" والخازن : (أن الله سبحانه وتعالى قال ولولا أن ثبتناك وقد ثبته الله فلم يركن إليهم)»[5]" وأبو حيان الذي قال: (وَمَعْنَى لَيَفْتِنُونَكَ لَيَخْدَعُونَكَ وَذَلِكَ فِي ظَنِّهِمْ لَا أَنَّهُمْ قَارَبُوا ذَلِكَ إِذْ هُوَ مَعْصُومٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُقَارِبُوا فِتْنَتَهُ عَمَّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ، وَتِلْكَ الْمُقَارَبَةُ فِي زَعْمِهِمْ سَبَبُهَا رَجَاؤُهُمْ أَنْ يَفْتَرِيَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ مَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ تَبْدِيلِ الْوَعْدِ وَعِيدًا أَوِ الْوَعِيدِ وَعْدًا، وَمَا اقْتَرَحَتْهُ ثَقِيفٌ مِنْ أَنْ يُضِيفَ إِلَى اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ

(١) الإسراء : ٧٣ – ٧٥ .
(٢) تفسير القشيري ٢ : ٣٦٢ .
(٣) المصدر السابق ٢ : ٣٦٣ .
(٤) تفسير القرطبي ١٠ : ٣٠٠ .
(٥) لباب التأويل للخازن ٣ : ١٣٩ .

عليه)»[1]" وقال ابن عاشور: (لَوْلَا حَرْفُ امْتِنَاعٍ لِوُجُودٍ، أَيْ يَقْتَضِي امْتِنَاعًا لِوُجُودٍ، أَيْ يَقْتَضِي امْتِنَاعَ جَوَابِهِ لِوُجُودِ شَرْطِهِ، أَيْ بِسَبَبِ وُجُودِ شَرْطِهِ ... وَعُدِّيَ التَّثْبِيتُ إِلَى ضَمِيرِ النَّبِيءِ الدَّالِّ عَلَى ذَاتِهِ وَالْمُرَادُ تَثْبِيتُ فَهْمِهِ وَرَأْيِهِ، وَهَذَا مِنَ الْحُكْمِ عَلَى الذَّاتِ. وَالْمُرَادُ بَعْضُ أَحْوَالِهَا بِحَسَبِ دَلَالَةِ الْمَقَامِ، ... فَالْمَعْنَى: وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَا رَأْيَكَ فَأَقْرَرْنَاهُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي مُعَامَلَةِ الْمُشْرِكِينَ لَقَارَبْتَ أَنْ تَرْكَنَ إِلَيْهِمْ ... غير وَاقِعٍ وَلَا مُقَارِبِ الْوُقُوعَ لِأَنَّ الْآيَةَ قَدْ نَفَتْهُ بِأَرْبَعَةِ أُمُورٍ، وَهِيَ: (لَوْلَا) الِامْتِنَاعِيَّةُ. وَفِعْلُ الْمُقَارَبَةِ الْمُقْتَضِي أَنَّهُ مَا كَانَ يَقَعُ الرُّكُونُ وَلَكِنْ يَقَعُ الِاقْتِرَابُ مِنْهُ، وَالتَّحْقِيرُ الْمُسْتَفَادُ مِنْ شَيْئاً، وَالتَّقْلِيلُ الْمُسْتَفَادُ مِنْ قَلِيلًا)»[2]" .

وفضلا عن ذلك فإن التعبير عن الفتنة جاء تعبيرا عن المشركين فقال تعالى: (وإن كادوا ليفتنونك) ولم يقل وإن كدت لتفتتن فالمقاربة في فعل الفتنة هي من المشركين على وفق ظنهم وليس من قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأما (كدت تركن إليهم) فهو فعل منفي بلولا الامتناعية كما ذكر ابن عاشور ولهذا لم يقع الافتتان ولم يقع الركون، ومع ذلك فلو حدث أنك لست معصوما وأن المشركين فتنوك وركنت إليهم فإنك حينها ستعدم النصير، وهذه شروط كثيرة لا يمكنها الاجتماع والتحقق إلا بإرادته تعالى، كما أن التعبير بعدم النصير لم يأت مطلقا بل جاء بالصيغة: (لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا) فلم يقل تعالى لا تجد لك نصيرا كما في المواضع السابقة بل علق الكلام بالجار والمجرور (علينا) والمعنى أن الافتتان مع المشركين لن يسمح بوجود نصير لك علينا عند المحاججة يوم القيامة وليس معناه أنك لن تجد نصيرا مطلقا؛ فالله تعالى يعلم بما أوحى به إلى نبيه عليه السلام ولن ينفعه أن يجادل في أمور الوحي وفهمها ولن يقبل بمخالفة النبي لذلك

(١) البحر المحيط ٧ : ٨٩ .

(٢) التحرير والتنوير ١٥ :١٧٥ - ١٧٦ .

الوحي الذي يعلمه جيدا .

ومن الجدير التذكير بأن اسمه تعالى النصير الذي ورد نكرة في هذه الخمسة المواضع ورد بالنفي؛ ونفي النصير عن المشركين والذميين المضادين للإسلام والمنافقين يعني أنه تعالى نصير لمن سواهم من الناس؛ وهذا يعني أن باب النصرة واسع جدا إلى الحد الذي لم يحدده تعالى بأطر محددة بل نفى عنه بعض الأمور وبقيت جميع الأمور الأخرى متوفرة ومفتوحة لكل من يطلب نصرته .

٢- اسمه تعالى الولي .

قبل أن نبتدئ ببيان هذا الاسم الشريف (الولي) نود أن ننوه بأنه على العكس من اسمه تعالى النصير قد ورد ذكره ضمن الأسماء الحسنى التي ذكرها الدارسون فقد قال عنه الزجاج عند تفسيره للأسماء الحسنى: ((الْوَلِيّ هُوَ فعيل من الْمُوَالَاة وَالْوَلِيّ النَّاصر ... وَهُوَ تَعَالَى وليهم بِأَن يتَوَلَّى نَصرهم وإرشادهم كَمَا يتَوَلَّى ذَلِك من الصَّبِي وليه وَهُوَ يتَوَلَّى يَوْم الْحساب ثوابهم وجزاءهم))»[(١)]" وقال أيضا: ((الْوَالِي هَذَا اسْم الْفَاعِل من ولي يَلِي وَتَفْسِيره الَّذِي يَلِي أَمر الْخلق ويتولى مصالحهم وَيُقَال للأمير هَذَا وَالِي بلد كَذَا لِأَنَّهُ يَلِي أُمُورهم وَيصْلح شؤونهم وَولي ووال كعليم وعالم وقدير وقادر))»[(٢)]" .

وقال الزجاجي: ((الولي في كلام العرب على ضروب عشرة مخرجها كلها من قولهم: هذا الشيء يلي هذا الشيء، وأوليت الشيء الشيء: إذا جعلته يليه لا حاجز بينهما:

١- تقول العرب: فلان ولي فلان أي هو متولي أمره والقيم بشؤونه كأنه يلي إصلاح أمره بنفسه لا يكله إلى غيره

٢- وفلان ولي فلان أي ناصره كأنه يوليه نصره فلا يحول بينه وبينه

(١) تفسير أسماء الله الحسنى ، الزجاج : ٥٥ .

(٢) المصدر السابق : ٧٧ .

٣- وفلان ولي فلان أي يوليه وده وموالاته، ويثني عليه بالجميل، ولا يتبرأ منه في حال...

٤- ويقال: فلان ولي فلان أي ولي نعمته أي قد أولاه نعمته وأنعم عليه، وأسداها إليه فلم يحل بينه وبينها ...

٥- وتقول: فلان ولي فلان أي صاحب نعمته التي قد أسداها إليه وأنعم بها عليه كقول القائل لمن هو فوقه في الحال والمنزلة وكثرة المال، وقد أحسن إليه: أنا وليك أي أنا ولي نعمتك التي اصطنعتها إلي...

٦- وتقول: فلان ولي فلان أي مواليه ومتابعه على أموره، فأمرهما وشأنهما واحد ...

٧- ويقال: فلان ولي فلان أي قريبه ونسيبه كأنه لا حاجز بين نسبيهما ويوشك أن يكون من هذا قولهم فلان ولي فلانة أي ذو محرم لها ونسب، ويجوز أن يكون وليها أي يلي أمرها، ويقوم به فلا يتقدمه في ذلك أحد، ولا يحول بينه وبينها فيما يمضيه ويراه مما لها فيه صلاح.

٨- وقد يستعمل الولي بمعنى الوالي كما يستعمل الغريم بمعنى الغارم، ... وليس ذلك بمنكر ولا مدفوع،

٩- ويقال: فلان ولي فلان إذا أعتقد عبدًا فله ولاؤه وهو وليه أي صاحب ولائه ويقال: ولي بين الولاء بفتح الواو، ووال بين الولاية بكسر الواو، ومولى بين المولوية، حكاه أبو عمرو الشيباني. وغيره وفي فلان مولويه

١٠- والولي في غير هذا مطر الربيع الثاني، يقال للأول السومي لأنه يسم الأرض بالنبات، والثاني الولي لأنه يلي الأول، كأنه من الموالاة والمتابعة، فهذه عشرة أوجه في الولي كلها ترجع إلى ما ذكرته لك أولاً))»[1]" .

(١) اشتقاق اسماء الله ، الزجاجي ، ١١٣ - ١١٧ .

وقد لخص بذلك الزجاجي رحمه الله أغلب المعاني التي يستعمل فيها هذا الأصل ،

ولكن عودة إلى لسان العرب تظهر لنا أن من معاني ولي أيضا أنها تأتي بمعنى الخطة والسلطان والوراثة والاستحقاق والقرابة والحلف والنصرة والميل والتمييز والملازمة والصديق والدنو والوصاية وبلوغ الغاية والسبق والاتباع والرضا وهو من الاضداد فالتولي هو الانصراف والإدبار والنأي"[1]» ومن المفيد أن نعلم أن جميع هذه المعاني كامنة في هذا الاسم الجليل وحتى ضده فهو وارد معه وذلك أن المتولي لشخص ما يترك وينأى وينصرف عن الباقين ولهذا يتركز مفهوم الولاية في الإخلاص لمن يتم توليه، ويمكن تلخيصها في القرب والحفظ والنصرة "[2]».

لقد ورد اسمه تعالى الولي منفردا منكرا في أربعة مواضع كانت كلها بالإثبات على عكس اسمه تعالى النصير الذي مر معنا فقد قال تعالى: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ)»[3]" وقد خصص هنا الولاية للمؤمنين على عكس النصرة التي جعلها تعالى بعيدة عن بعض الأصناف فقط؛ كما أضاف تعالى إلى المؤمنين صنفا آخر وهم المتقين فقال عز من قائل: (إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ)»[4]"ومن المعروف أن المتقين أخص من المؤمنين وذلك أنه يمكن لمؤمن أن لا يكون متقيا ولا يمكن لمتق أن لا يكون مؤمنا، ولهذا فتخصيص المتقين من باب ذكر المخصوص بما يخصه على رغم اشتراكه مع العام في الكثير من الأمور، ومن الجدي بالملاحظة هنا أن الجملتين اللتين اختتمت بهما الآيتان

(١) ينظر: لسان العرب ٩/ ٤٠٥ – ٤١١ (ولي) .
(٢) ينظر مفهوم الاسماء والصفات ، سعد عبد الرحمن ندا ، ٤٩ : ٤٤ .
(٣) آل عمران : ٦٨ .
(٤) الجاثية : ١٩ .

كانتا على سبيل الإخبار فلفظ الجلالة مبتدأ وولي المؤمنين أو المتقين خبر له، ومن المعلوم أن هذا الإخبار الواقع من الله عز وجل لا يقبل التشكيك وأنه جاءنا على سبيل الإبلاغ بالحكم أو النتيجة النهائية التي يجب أن تكون قاعدة عامة لكل المسلمين .

وقد مر معنا أن الظالمين محرومون من النصير وذلك بسبب اتباعهم الهوى على رغم وجود الكتاب المنزَّل ولهذا وصفهم تعالى بالظلم، ولهذا قال تعالى هنا أن أولئك الظالمين بعضهم أولياء بعض ولن يغني أحدهم عن الآخر شيئا بولايته له، فما دام اختاره في الدنيا وليا فسوف يكون وليا له في القيامة وكل منهما إلى النار أعاذنا الله وإياكم منها، وبما أن الظالمين هذا حالهم فمن لا يظلم نفسه والناس باعتقاده يتمتع بنصير هو الله تعالى، وأما الولاية فمخصوصة للمؤمنين وللمتقين منهم بشكل أكبر فكلما زاد المؤمن في إيمانه زادت الولاية الإلهية له حد أن نصل إلى درجة التقى والتي ستكون الولاية عندها أعلى درجة .

ولما جاء اسمه تعالى الولي بالنفي لم يرد مطلقا كما كان الحال مع اسمه تعالى النصير بل جاء مقيدا فقد قال تعالى: (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)»[1]"، وقد جاء التعبير: (من دونه) ليعبر عن انتفاء الولاية لغيره تعالى؛ وقد ضمنت (من) معنى في فأصبح المعنى: في دونه من الأشخاص؛ وقد أورد ابن هشام معنى بيان الجنس من ضمن معاني من وقال أنها غالبا ما ترد بعد ما ومهما ولهذا يكون المعنى ليس لهم في جنس دونه ولي، ولم يقل تعالى دونه، لأن الدون بمعنى الأسفل وهو تعالى لم يرد الأسفل والأعلى بل أراد بالدون الغير، وأما من الداخلة على اسمه تعالى الولي فهي للتنصيص على العموم كما قال ابن

(١) الكهف : ٢٦ .

هشام"[1]" وهي بذلك تنفي أي ولي ممكن أو متخيل يمكن للانسان أن يتوهمه فجاء النفي على هذا العموم .

وورد اسمه تعالى الولي منفردا نكرة منصوبا في موضعين أولهما بقوله تعالى: (لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا * وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا)"[2]" وقد جاءت من هنا بمعنى بدل أي من يتخذ الشيطان وليا بدلا من الله تعالى فله الخسران، والإبدال يتم بوضع البديل مكان المبدل منه وفي هذا ما فيه من ظلم توعده الله جل وعلا بعدم الولاية ولا النصرة .

وعلى الشاكلة نفسها ورد نكرة مجرورا في موضع واحد وهو قوله تعالى: (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ)"[3]" فمن الأولى بمعنى بدله أي لن تجدوا بدلاً منه واليا لكم، ومِن الثانية تفيد نفي العموم أي أن المؤمنين لن يجدوا واليا بأي شكل من أشكال الولاية الممكنة والمتخيلة بجميع تخصيصاتها، ويبدو أنه تعالى أوضح الولاية هنا بأنها تتمثل في المعقبات التي منحها الله تعالى للمؤمنين فهي تحفظه من أمر الله فإما أن تلغيه أو أن تغير مساره أو نتيجته نحو ما ينفع المؤمن، قال تعالى: (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)"[4]" فالخير والشر لا يعلمهما إلا العليم ولهذا فإنه تعالى ييسر لنا باختياره الأفضل

(١) ينظر مغني اللبيب، ١ : ٤٢٢ – ٤٢٥ .
(٢) النساء : ١١٨ – ١١٩ .
(٣) الرعد : ١١ .
(٤) البقرة : ٢١٦ .

لنا عن طريق معقباته من الولاية التي تحيط بنا من كل جانب وفي كل وقت .

٣- اسماه تعالى الولي النصير

أشار الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله إلى اندماج الاسمين أو الصفتين معا فقال: ((صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدرٌ زائدٌ على مفرديهما؛ نحو: الغني الحميد، العفو القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن. فإنَّ الغني صفة كمال، والحمد كذلك، واجتماع الغني مع الحمد كمال آخر، فله ثناءٌ من غناه، وثناءٌ من حمده، وثناءٌ من اجتماعهما))[(١)]" وهنا يصح القول أيضا أن الولاية والتي قلنا أنها أخص من النصرة، حينما تندمج مع النصرة فإنها تمنحنا كمالا إلهيا بجمع كماله تعالى من الصفتين .

لقد ورد اسمه تعالى الولي قبل اسمه تعالى النصير في أغلب المواضع وإذا اتخذنا الانتقال من الأدنى إلى الأعلى يصبح اسمه تعالى النصير أعلى مرتبة من اسمه تعالى الولي أو أن الولي أخص من النصير ، وليس المقصود بالأعلى والأدنى أنها أدنى أو أعلى في قيمتها أو مكانتها بل أنها تأخذ موقعا في تابعيتها لباب رئيس هو باب النصرة هنا وأما الولاية فهي أدنى مرتبة أي أن النصرة أعم من الولاية فكما توضح لدينا من بحثنا في الاسمين على انفرادهما فإن النصرة يمكن أن تنال أشخاصا أو أصنافا أكثر مما تناله الولاية التي اختصت بالمؤمنين والمتقين.

وقد ورد الاسمان بصيغتين الأولى في الإثبات أعني إثبات الولاية والنصرة لله تعالى، وقد وردا بهذا الشكل من تقديم الولي على النصير في سبعة عشر موضعا فقد وردا معرفتين في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا

(١) فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى ، ابن قيم الجوزية ، ٢٢ .

فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)"[1]» فالخطاب موجه للمسلمين بأن مولاهم نعم المولى ونصيرهم نعم النصير ولكن اسمه تعالى الولي جاء مكررا مرة بصيغة مولاكم ومرة بصيغة المولى وقد خصص الولاية للمسلمين فأضافها إليهم (مولاكم) ثم كرر بنعم المولى على العموم ونعم النصير وأل التعريف هنا تفيد الشمول فهو المولى الحق الكامل الولاية وهو النصير الحق الكامل النصرة ولا يستحق غيره أن يتصف بهاتين الصفتين المطلقتين .

وربما كان حريا بنا هنا التمييز بين الولاية والنصرة فقد قال السمرقندي أن المولى بمعنى الحفيظ والنصير بمعنى المانع"[2]» وقال القرطبي أن المولى المعين والنصير الناصر»[3]" وقال السمعاني الولي القيِّم بالأمور والنصير الناصر"[4]" ومن خلال الاستعراض الذي قدمناه في معاني الاسمين وفي تحليلنا لمواضع ورودهما في القرآن الكريم يتبين لنا علاقة الخصوص والعموم بينهما فالله جل جلاله ولي المؤمنين والمتقين خصوصا وناصر المسلمين عموما .

ولهذا ورد اسمه تعالى النصير بصيغة اسم الفاعل بقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ)"[5]» فهو لم ينف الناصر عموما ولكنه قال جل وعلا أنه خير الناصرين لأن نصره لا يمكن تجاوزه ولا تلافيه ولا العودة فيه، وأما قوله تعالى (بل الله مولاكم) فقد

(١) الأنفال : ٣٨ - ٤٠ .
(٢) ينظر: بحر العلوم ، ٢ : ٢١ .
(٣) ينظر : الهداية إلى بلوغ النهاية، ٤ : ٢٨٢٢ .
(٤) ينظر : تفسير السمعاني ، ٢ : ٢٦٥ .
(٥) آل عمران : ١٤٩ - ١٥٠ .

قال عنه الطبري: ((وإنما قيل:"بل الله مولاكم"، لأن في قوله:"إن تطيعوا الذين كفروا يردُّوكم على أعقابكم"، نهيًا لهم عن طاعتهم، فكأنه قال: يا أيها الذين آمنوا لا تُطيعوا الذين كفروا فيردُّوكم على أعقابكم، ثم ابتدأ الخبر فقال:"بل الله مولاكم"، فأطيعوه، دون الذين كفروا))[1]" أي على تقدير بل الله أطيعوه»[2]" جاعلا استعمال بل ردا لمن قد يفكر في موالاة الكافرين وموضحا أنها جاءت لكي توضح السبيل الآخر الممكن ألا وهو موالاة الله تعالى، ولنلاحظ هنا أن التعقيب بالاسمين الكريمين ورد في آية كاملة معقبا الكلام الذي سبقه في الآية السابقة، كما نلاحظ تناسبا بين طاعة الكافرين التي وردت في الآية الأولى في مقدمتها والولاية التي وردت أيضا في مقدمة الآية الثانية؛ وبين الخسران التي وردت تالية في الآية الأولى والنصرة والتي وردت تالية أيضا في الآية الثانية .

ووردا بصيغة النكرة في سبعة مواضع"[3]» ومن المفيد هنا الإشارة إلى أن التنكير للاسمين ارتبط دوما بالنفي على العكس من التعريف الذي سبق أن تناولناه والذي ارتبط بالإثبات أي أن الإثبات في الخبر ورد بالتعريف ومن المعلوم ما للتعريف من صفات الكمال والعهد والتي أضفت معاني الكمال للصفة، وأما التنكير فقد ورد دوما مع النفي للولي والنصير لكي ينفي تعالى وجود أي ولي أو نصير ومن أي جنس أو زمن أو شكل كان .

وقد ورد النفي للولي والنصير دوما بصيغة متشابهة وهي صيغة (ما (لك أو لكم أو لهم) من ولي ولا نصير) وورودها على هذه الصيغة يفيد مسائل :

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري ، ٧ : ٢٧٨ .
(٢) ينظر: تفسير القرطبي ، ٤ : ٢٣٢ .
(٣) البقرة : ١٠٧ و١٢٠ ، والتوبة : ٧٤ و١١٦ ، والعنكبوت : ٢٢ ، والشورى : ٨ و٣١ .

١- أن النفي مقدم على الاسمين كليهما ولهذا فهو ينفي الولي الأخص ثم ينفي النصير الأعم .

٢- أن تركيب الجملة قائم على تقديم الولي على النصير أي تقديم الأخص على الأعم والمراد نفي الأخص أولا ثم نفي الأعم الذي قد يظن ظان أنه يمكن أن يطمع أو يطمح فيه بدلالة استعمال (ولا) العاطفة والتي تناولت الركن الثاني الأعم لكي تنفي توفره أي لكي تنفي توفر الحد الأدنى من المعونة والنصرة .

٣- استعمل تعالى شبه الجملة (لكم) في أربعة مواضع من السبعة التي وردت فيها هذه الصيغة وهي تخاطب المؤمنين وتنذرهم بخطاب مباشر موجه إليهم ، وأما شبه الجملة (لهم) فقد وردت في موضعين فقط ، وشبه الجملة (لك) وردت في موضع واحد .

ومنها قوله تعالى: ((مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ))[1] لقد وردت صيغة (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) مبتدئة بحرف العطف وهي معطوفة على معنى القدرة الذي ورد في افتتاح الآية ، وعطفها على القدرة والملك يدعونا إلى القول أنه تعالى يريد أن يبلغنا بأنه هو المالك وهو القادر ولهذا فهو الولي وهو النصير وأن العالم كله لا يمكن له أن يوفر لنا وليا أو نصيرا آخر ما دام هو تعالى المالك .

ومثلها قوله تعالى: ((وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ))[2] فقد افتتح تعلى الآية بالحديث عن الملك والإحياء والإماتة

(١) البقرة : ١٠٦ .

(٢) التوبة : ١١٥ - ١١٦ .

التي تنعقد بقدرته تعالى فقط ، ثم عطف عليها الولاية والنصرة ؛ فمن يمكن أن يكون وليا أو نصيرا ساعة الإحياء غيره ؟ ومن يمكن أن يكون وليا أو نصيرا ساعة الإماتة ؟ ومن يمكن أن يكون كذلك في الملك والتصرف ؟ .

وكذا قوله تعالى: ((أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ * وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ))"[1] فإبداء الخلق وإعادته وإحياؤه وإماتته بيده تعالى القدير؛ وكل من سواه عاجز تماما عن القيام بهذه الأفعال وعاجزون عن الإتيان بأية معجزة تخص الخلق والقدرة ، ولهذا صح أنه لا ولي ولا نصير سواه .

ومثلها قوله تعالى: ((وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ * وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ))"[2] فلا أحد يمتلك المعجزات ويقدر عليها سوى الخالق جل وعلا ، ولنلاحظ أن هذه المواضع جميعا جاءت عطفا على الخلق والقدرة والإعجاز ولم يأت اسماه تعالى الولي والنصير إلا بعدها معطوفا عليها وكأن الولاية والنصرة متعلقة بها .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن هناك شبه جملة أخرى تكررت في هذه الأربعة المواضع وهي (من دون الله) ، فبما أن الخطاب مع المؤمنين فإنه تعالى يحذرهم أنهم لن يجدوا غير الله وليا ولا ناصرا ولن يتولاهم أو ينصرهم من يمكن أن يتوهموا فيه وليا أو ناصرا .

(١) العنكبوت : ٢٠ – ٢٢ .

(٢) الشورى : ٣٠ – ٣١ .

إن الخطاب بشبه الجملة (لكم) كان موجها نحو المسلمين الذين يمكن أن تنالهم الولاية والنصرة ، وأما حينما استعمل تعالى شبه الجملة (لهم) فقد وردت خطابا للكافرين وهذه المواضع هي قوله تعالى: ((يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ))[1] فالخطاب موجه إلى المنافقين الذين يتوعدهم بعدم الولي والنصير وقد جاء هذا التوعد معطوفا على العذاب لا على الملك والقدرة كما في الخطاب مع المؤمنين، كما أن هذا الخطاب لم يستعمل شبه الجملة (من دون الله) فمن غير المعقول أن يخاطب تعالى الكفرة والمنافقين ويحذرهم بأن الله تعالى وحده هو الولي والناصر لأنهم يعتقدون أن آلهتهم هي الولية عليهم وهي التي تنصرهم وهو تعالى لا يريد أن يضع جلالته بالمقارنة مع آلهتهم ، كما أن هناك شبه جملة خاصة بهذا الموضع استعملها تعالى هاهنا وهي قوله(في الأرض) فما داموا لا يعتقدون بالبعث حسن خطابهم بأنهم لن يجدوا في حياتهم وليا ولا ناصرا حقا سوى الله تعالى وأن هذا الانعدام للولي والنصير سيكون دنيا وآخرة مهما بحثوا عن غيره تعالى .

ومثلها قوله تعالى: ((وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ * وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ))[2] فالخطاب موجه إلى الظالمين

(١) التوبة : ٧٣ – ٧٤ .

(٢) الشورى : ٦ – ٨ .

الذين ظلموا أنفسهم باتخاذ أوليا وأنصار آخرين غير الله تعالى وها قد غابت هنا أيضا القدرة والملك وظهر بدلا منها الظلم ، فجزاء لظلم الكفار تركهم الله تعالى بعيدا عن ولايته ونصرته .

وأما الموضع الأخير الذي ورد بشبه الجملة (لك) فقد كان خطابا مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم فقد قال تعالى: ((وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ))"[1] وفي هذا الموضع غاب العطف تماما وجاءت الجملة جوابا للشرط بعدم اتباع اليهود والنصارى ، وقد أضيفت هنا شبه جملة جديدة وهي قوله تعالى(من الله) أي لن ينصرك أحد من الله الذي سيعاقبك عقابا شديدا إن اتبعت ملة اليهود أو النصارى ، وقد استعمل تعالى شبه الجلة هذه مع نبيه المصطفى الكريم لأنه يعلم أن نبيه صلى الله عليه وسلم يتخذ ربه وليا ونصيرا وأن تهديده بفقدان الولي أمام الله سيجد فهما دقيقا من لدن النبي صلى الله عليه وسلم للمغزى فهو العالم أكثر من غيره بالله تعالى وهو العالم بمعنى فقدان الولي والنصير .

ومثل المواضع السابقة ورد الاسمان بالتنكير والنصب في ثمانية مواضع"[2]» كانت خمسة مواضع منها بصيغة (لا يجدوا (أو لا يجدون) وليا ولا نصيرا) والوجدان يأتي بعد البحث وهي صيغة تريد التنبيه على أن محاولة البحث عن ولي أو نصير لن تجدي نفعا فمهما بحث الباحث لن يجد أيا منهما .

ومنها قوله تعالى: ((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا * لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا

(١) البقرة : ١٢٠ .

(٢) النساء : ٤٥ و٧٥ و١٢٣ و١٧٣ ، والأحزاب : ١٧ و٦٥ ، والفتح : ٢٢

أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا))»[1]" وبمقابلة هذه الصيغة بالصيغة السابقة نجد أنها معطوفة أيضا ولكنها هذه المرة معطوفة على الجزاء بالسيئة لمن يعمل السوء كما أنها وردت مع شبه الجملة (من دون الله) لكي تشير لنا إلى أن كل العالم المخلوق والذي هو من منزلة دون الخالق لن يفلح في أن يتولى أو ينصر من يعمل هذا السوء ، ومن الملاحظ أنه تعالى استعمل الفعل المضارع الدال على التجدد (يجد) فمهما حاول المسيؤون أن يبحثوا فلن يجدوا غير الله وليا ولا ناصرا ، وأما استعمال الإفراد دون الجمع هنا فقد ناسب مقام الخطاب الموجه للمفرد (من يعمل سوءا) ومع ذلك فهو خطاب خاص يراد به العموم .

وأما مخاطبة العموم فقد استعمل تعالى معها الفعل (يجدون) كقوله تعالى: ((فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا))»[2]" وبالصيغة نفسها من استعمال شبه الجملة (من دون الله) والعطف على الموضع السابق وهو التوعد بالعذاب الأليم .

وكذا المسألة في قوله تعالى: ((قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا * قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا))»[3]" إلا في موضع واحد وردت بلا عطف ولا استعمال لشبه الجملة في قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا *

(١) النساء : ١٢٢ - ١٢٣ .

(٢) النساء : ١٧٣ .

(٣) الأحزاب :١٦ - ١٧ .

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا))»[1]" فلعنتهم وخلودهم في النار لم تستوجبا ذكر اسمه تعالى معهما لأنهم يمثلون حالات ميئوس منها تماما ، كما أنها لم تستوجب العطف على سابق لها لأن حال الخالدين في النار لا يستوجب تبريرا ولا شرحا ولا تعليقا فقد ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم وجعل مثواهم الثابت نار السعير أجارنا الله منها .

ومثلها قوله تعالى: ((وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا * وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا))»[2]" والخطاب هنا موجه إلى الكافرين وهو يتعلق بالدنيا لا بالآخرة كما هو الحال في المواضع السابقة ، وفي هذا الحال لم يذكر تعالى أيضا شبه الجملة (من دون الله) لأنهم أصلا يكفرون بالله تعالى بل يحاربون دينه وأتباعه ولا يؤمنون سوى بولاية ونصرة أصنامهم ، كما لم يقتض الحال العطف على أمر سابق لأنهم لا يجدون الولي والنصير في الدنيا بعد هزيمتهم .

والموضع الوحيد الذي جاء بالإثبات في قوله تعالى: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا))»[3]" وقد جاء هذا الموضع مخالفا كما نرى للمواضع السابقة في الصيغة التي ورد عليها وهي صيغة استعملت العطف (وكفى بالله ...) على المعطوف السابق وهو العلم بالأعداء من كل ناحية (العدد والنوايا والطريقة وغيرها فالله محيط

(١) الأحزاب : ٦٤ - ٦٥ .
(٢) الفتح : ٢٠ - ٢٢ .
(٣) النساء : ٤٤ - ٤٥ .

بعلمه كل شيء) وما دام عليما بأهل الكتاب وما ينوونه من إلحاق الأذى بالمسلمين فهو يطمئنهم أن يكتفوا به وليا ونصيرا عل أعدائهم بعلمه وقوته وقدرته .

وأما الطلب فقد جاء في موضع واحد أيضا في قوله تعالى: ((وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا))[1] فهو دعاء من قبل المسلمين يعلمه الله تعالى لهم لكي يتوكلوا عليه ما دام هو وليهم ونصيرهم وقد جاءت هذه الصيغة معطوفة على طلب سابق في الإخراج من المدينة التي ينتشر فيها الظلم ، ومن الملاحظ أنها وردت بالتوكيد فقد تكررت صيغة(واجعل لنا من لدنك) في الجزء الثاني مع أن الإيجاز يمكن أن يكون في عدم تكرارها أي (واجعل لنا من لدنك وليا ونصيرا) ولكن موقف الفرد المسلم في مدينة ينتشر فيها الظلم بشكل عام يتطلب الإلحاح في الدعاء والتوسل إلى الله تعالى أن يتولاه وينصره وقد جاء التكرار ليصور هذا الإلحاح والترجي من المسلم برحمة الله تعالى وعطفه لكي يخلصه من الظلم .

وهناك موضع آخر ورد بصيغة الأمر ولكنه أمر موجه من قبل الله تعالى بعدم اتخاذ المنافقين أولياء ، قال تعالى: ((فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا * وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا))[2] وهو موضع معطوف على الشدة على المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويخفون الكفر ، وولايتهم ومناصرتهم هنا تعني التعامل معهم بأي شكل من الأشكال لأنهم قد يؤثرون على المؤمنين

(١) النساء : ٧٥ .

(٢) النساء :٨٨ - ٨٩ .

ويغرونهم بالكفر كما كفروا .

٤- الاسماء المتعلقة باسمه تعالى الولي

ورد اسمه تعالى الولي مع اسم واحد من الأسماء أو الصفات الحسنى في الفاصلة القرآنية بوصفه تعقيبا وهو الواقي في قوله تعالى: ((وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ))[1]" وإذا كنا قد قدمنا أن اسم الباب الأوسع هو النصرة ولذلك تقدمت الولاية على النصرة لأن النصرة أعم ، فما الذي دعا هنا إلى تقديم الولاية على الوقاية فيمكننا القول أولا أن تقديم الوقاية سيجعل العبارة ركيكة وثقيلة في النطق ولهذا تم تأخير الوقاية لفاصلة ، وثانيا أن الولاية المقصودة هنا هي ولاية الدنيا وأما الوقاية فهي الوقاية من العذاب في الآخرة ، وثالثا أن الوقاية أخص من الولاية لأن أحد معاني الولاية هو الحفظ والوقاية من السوء وقد تم تأخيرها لأنها في الخطاب مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقد تدرج معه تعالى من العام (الولاية) إلى الأخص (الوقاية) لكي تناسب الآية التي تنذر من الانتقال من العام (القرآن الشامل لجميع الناس والأمم والخاتم بوصفه حكما عربيا إلى أهواء أصحاب الكتاب المخصوصة بأممهم) .

(١) الرعد : ٣٧ .

الخاتمة

بعد أن انتهت رحلتنا مع أسماء الله الحسنى في باب النصرة الإلهية لا يسعني إلا أن أعبر عن سروري البالغ بإنجاز بحث متواضع ضمن سلسلة التعريف بمناسبة التعقيب بأسماء الله الحسنى خدمة لله تعالى ولصفاته الحسنى وأسمائه عسى أن يتقبله تعالى توطئة لرحمته ومغفرته وقبوله .

وعليه فقد آن آوان التعريف بأهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها البحث وهي :

١- لقد درس الكثير من المفسرين القرآن الكريم وأحاطوه بعنايتهم السديدة ولكن جمع الأشياء إلى بعضها يظهر من الأمور ما لا يظهر بالتفريق وقد كان جمعنا للأسماء الحسنى ودراسة التعقيب بها في فواصل الآيات القرآنية قد أظهر لنا العديد من مفاتن القرآن الكريم وإعجازه .

٢- لقد أشار المفسرون والدارسون إلى بعض الأمور النافعة في التعقيب بالأسماء الحسنى كالزركشي وغيره ، وقد كانت تلك الإشارات منطلقا لنا للبحث في هذا الموضوع بالتفصيل الذي قد تناول باب النصرة الإلهية فقط عسى أن يكون ذلك قادحا لتناول بقية الأسماء الحسنى في أبواب أخرى .

٣- وجدنا أن باب النصرة الإلهية يقتصر على اسمين مهمين من الأسماء الحسنى أو الصفات الإلهية وهما اسما الولي والنصير وأن هناك اسما آخر ولكنه ورد في متن الآيات القرآنية لا في الفاصلة القرآنية وهو الشفيع ولذلك استبعدناه من دراستنا وأن هناك اسمه تعالى أو صفته الواقي وردت مع اسمه تعالى الولي .

٤- وردت هذه الأسماء في سبعة وعشرين موضعا من القرآن الكريم في فواصل قرآنية .

٥- إن معنى النصرة يتمثل في المعونة والمنع والانتقام والتجمع وأن معاني الولاية تتمثل في الخطة والسلطان والوراثة والاستحقاق والقرابة والحلف والنصرة والميل والتمييز والملازمة والصديق والدنو والوصاية وبلوغ الغاية والسبق والاتباع والرضا وهو من الاضداد فالتولي هو الانصراف والإدبار والنأي وهي معاني مرادة في اسميه تعالى .

٦- أن اسمه تعالى الولي ورد في جميع المواضع قبل اسمه تعالى النصير .

٧- أن اسمه تعالى الولي أخص من اسمه تعالى النصير ولهذا ورد دوما قبله فالولاية خاصة بالمؤمنين والمتقين وأما النصرة فعامة .

٨- حينما ينفرد اسمه تعالى النصير فهو يأتي غالبا بصورة النفي أي بنفي النصرة عن الظالمين والكافرين والمنافقين .

٩- حينما ورد اسمه تعالى الولي منفردا ورد بالإثبات للولاية للمؤمنين والمتقين وورد بالنفي لينفي الولاية بشكل عام عن غير المؤمنين .

١٠- ورد الاسمان معا معرفة في موضعين للتنبيه على عدم جواز اتخاذ أي ولي أو نصير من دون الله .

١١- ورد الاسمان معا نكرة مرتبطين بالقوة والملك والقدرة الإلهية .

١٢- ورد الاسمان معا نكرة في الكثير من المواضع تنبيها للظالمين والكافرين بأنهم لن يجدوا وليا ولا نصيرا من دون الله تعالى مرتبطا بالتهديد بعذاب عظيم .

١٣- ورد اسمه تعالى الواقي مع اسمه تعالى الولي في موضع واحد وهو يحسن أن يدخل في باب الولاية في الوقت الذي استبعدنا فيه اسمي الشفيع لأنه لم يرد في الفاصلة والمرشد لأنه صفة للولي البشري لا لله تعالى .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني القاهرة ، د . ط ، د . ت .

٣. اشتقاق اسماء الله ، عبد الرحمن أبو القاسم الزجاجي ، تحقيق د. عبد الرحمن المبارك، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٩٨٦ .

٤. بحر العلوم تفسير السمرقندي ، نصر بن محمد السمرقندي ، مؤسسة الرسالة ، د. ط ، د . ت .

٥. البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، تحقيق صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت، د . ط ، ١٤٢٠ ه .

٦. البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط١ ، ١٩٥٧ .

٧. التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، الدار التونسية للنشر ، تونس، د . ط ، ١٩٨٤ .

٨. تفسير ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢ ه .

٩. تفسير أسماء الله الحسنى ، ابراهيم بن سهل أبو اسحاق الزجاج ، تحقيق أحمد يوسف الدقاق ، دار الثقافة العربية ، د . ط ، د . ت .

١٠. تفسير السمعاني المسمى تفسير القرآن ، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني ، تحقيق ياسر بن ابراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن ، الرياض ، ط١ ، ١٩٩٧ .

١١. تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، تحقيق أحمد البردوني وابراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٤ .

١٢. تفسير القشيري لطائف الإشارات ، عبد الكريم بن هوزان القشيري ، تحقيق إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط٣ ، د . ت .

١٣. جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ٢٠٠٠ .

١٤. دلائل الإعجاز في علم المعاني ، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٢ .

١٥. الرد على الجهمية والزنادقة ، أبو عبد الله أحمد بن حنبل ، تحقيق صبري بن سلامة شاهين ، دار الثبات للنشر والتوزيع ، ط١ ، د . ت .

١٦. الرسالة للإمام الشافعي : تحقيق أحمد شاكر ، مكتبة الحلبي ، مصر ، ط١ ، ١٩٤٠ .

١٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥ ه .

١٨. فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ، دار غراس ، الكويت ، ط١ ، ٢٠٠٣ .

١٩. فقه الأسماء الحسنى ، عبدالرزاق بن عبد المحسن البدر ، مكتبة أهل الأثر ، ط١ ، الكويت ، ١٤٣١ ه - ٢٠١٣ م.

٢٠. لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد الخازن ، تصحيح محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥ ه .

٢١. لسان العرب ، ابن منظور ، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة من الساتذة الأساتذة المتخصصين ، دار الحديث ، مصر -القاهرة ، د . ط ، د . ت .

٢٢. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، د . ط ، د . ت .

٢٣. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، عبد الله بن يوسف ابن هشام ، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ، دمشق ، ط٦ ، ١٩٨٥ .

٢٤. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٠ ه .

٢٥. مفهوم الاسماء والصفات ، سعد عبد الرحمن ندا ، نشر مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، د . ط ، د . ت .

٢٦. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القران وتفسيره ، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيرواني الأندلسي القرطبي ، تحقيق جامعة الشارقة بإشراف د. الشاهد البوشيخي نشر مجموعة بحوث الكتاب والسنة ، ط١ ، ٢٠٠٨ .